(خوان ميرو .. شاعر الخط واللون)

(١٩٩٣ - ١٩٨٣)

Joan Miró

شمس الجـــراح سجينـــة رأســـي
تحـــرق التـــل وتحـــرق الغابـــة
السماء أجمل من أي وقت مضى
وفـــراشـــات الأعـــنـــاب
ترسم عليهـــا أشكـــالا محـــددة
أنثـــرهـــا بحـــركـــة واحـــدة

* * *

سحـــــب اليـــــوم الأول
غيوم خفيفة ولا مشروعة

شرانـــقـــهـــا تحـــتـــرق

في نار نظراتي الهشيمية

* * *

وفي النهاية ، لكي يمكن التدثر بالفجـــر

لابد أن تكون السماء أيضاً في نقاء الليل

* * * * *

الفنان التشكيلي الأسباني خوان ميرو الذي رحل ليلة الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١٩٨٣ وكان قد ولد عام ١٨٩٣ مع بيكاسو ودالي ، ذلك الثلاثي الأسباني الذي حقق شهرة عالمية ، في دنيا الفنون التشكيلية ، وإن اقترب ميرو كثيرا من بيكاسو فيما يتعلق بنوعية الممارسة الفنية فقد عرفا في الأساس كمصورين وإن مارسا أيضا النحت والحفر والسيراميك والزجاج والرسم .

كان ميرو سيرياليا ، منذ حصل على جائزة بينالي فينسيا لعام ١٩٥٤ ثم جائزة اليونسكو عام ١٩٥٩ بعد أن صمم ديكورات مبناها بباريس ، ثم جائزة التصوير العالمية لعام ١٩٦٧ .

وقد كرمته الحكومة الفرنسية ومدينة باريس عند بلوغه الثمانين فعرضت كل إنتاجه الفني الذي انتشر بعد ذلك في أنحاء العالم .

أما ملامح ميرو فتتميز بوجه شاب باسم وعينين براقتين نفاذتين وتصرفات بورجوازي متواضع وفنان متطلع ، وأما ملامح رسوماته فقد كانت تتسم بالطفولة وإن كانت تنطوي على فكر عالم .

انتقل ميرو إلى باريس في أعقاب الحرب العالمية الأولى ولكن صلته لم تنقطع ببلاده مثلما فعل بيكاسو .. وفي ذلك قال : " إنني محتاج جسديا لبلادي ، لأرضي وسمائها وشمسها .. " .

كانت رغبته ملحة وهو بعد في سن الثامنة من عمره في أن يصبح فنانا ولكـــن والده الساعاتي كان يحلم بمستقبل آخر لابنه .. وفي عام ١٩٢٢ أكمل ميرو لوحة " العقل " التي قال عنها هيمنجواي " فيها كل ما تشعر به وأنت في أسبانيا وأيضا كل ما تشعر به وأنت خارج أسبانيا .. " وفي عام ١٩١٨ استقبله بيكاسو في باريس وشجعه وعاونه وقال له " الفن الخالص يتمثل في العمـــل حتى في رسم صغير على حائط كبير .. " ومد عمل ميرو بتلك الحكمة .

بدأ ميرو واقعيا وحرفيا ومحترفا ، ولكنه تأثر بداية ببيكابيا الذي التقى به في برشلونـــه وبديوان " الشاعر المنتحر " للشاعر أبوللينير ، فأخذ يبحث عن فن طليعي .

والتقى ميرو بماسون الذي عرفه على الفنانين والشعراء والأدباء وبصفة خاصة أندريه بريتون الذي أصدر عام ١٩٢٤ "المانيفستو السيريالي"

وبدأ ميرو حياة جديدة ومرحلة جديدة في فنه الذي انتقل فجأة من الواقعية إلى السيريالية بعد أن استراح قليلا على حدود الدادية .

واكتشف ميرو أشعار إيلوار ولوحات بول كلي ، فأخذ عنهما تناسق الشكل وتوحده من ناحية وثراء الألوان وخصوبتها من ناحية أخرى .. كما جمع بين التشخيصية والتجريدية في آن واحد.. كذلك تأثر ميرو بكاندنسكي فحول العناصر المحددة والمجسدة إلى خطوط قوية ومساحات واضحة ، وفجر عالمه الشعري والشعوري الخاص به في نهاية المطاف .

هذا العالم الشعري والشعوري ظهر واضحا في لوحة " كرنفال " التي رسمها عام ١٩٢٥ ولفتت إليه الأنظار بحيث أصبح اسمه وفنه مستقرين تماما .

وتدفقت أحلام ميرو على لوحاته ، مليئة بالرؤى والنبضات والمعاني والأفكار التي تحلق في سماء مرصعة بالنجوم المتوهجة دون أن تنفصل عن الأرض ، وهي الأرض الأسبانية الحارة بصفة خاصة .

عالم عجيب وساحر حقا ، جعل تجار الفن يتهمونه بالجنون ، فتركوا لوحاته .. ولكن عشاق الفن لم يتركوها ، كانوا يهرعون إلى مرسمه وإلى

معارضه الخاصة والمشتركة وكانوا يشترون اللوحات ويهدونها لميرو مرة أخرى .

وإزداد ميرو إصرارا وصلابة فرسم لوحة طولها ثلاثة أمتار فارغة تماما إلا من بقعة زرقاء في أقصى اليمين العلوي وخط مزدوج أقصى اليسار السفلي وصفار بيضة في الوسط .

ولكنه اشترك مع ماكس آرنست في تصميم ديكورات مسرحية "روميو وجولييت" بتشجيع من السيريالي الأول أندريه بريتون ، وبدأت مغامرة جديدة في حياة وفن ميرو فقد دعي إلى هولندا ونيويورك حيث عرض لوحاته من الحفر والتي أطلق عليها تسميته " الفن الفقير " .

هذا الفن الفقير هو الذي دعا النقاد إلى التساؤل : هل يعد ميرو فنانا ملتزما ؟

وعلى الرغم من أن ميرو كان يرفض هذه الصفة وذلك التصنيف إلا أنه اضطر أثناء الحـــرب الأسبانية الأهلية وبعد ضرب قرية جرنيكا إلى الالتزام بنوع من الالتزام ، وهو مناصرة شعبه ووطنه ، فرسم أفيشات واشترك في المعرض العالمي لعام ١٩٣٧ وتناول في لوحات الجواش أو الألوان المائية مأساة الموت والوحشية .

وانتقل ميرو بفنه إلى مرحلة العطاء الخصيب ، فقد كان يعمل بحماسة بالغة وجهد موفور مركزا في عطائه على إدخال الإحساس بالحياة الجميلة المليئة بالتفاؤل إلى جمهور المتلقين ، ولكن الجمهور كان يلحظ دائما نبرة الحزن والآسى الكامنة وراء الألوان المبهجة والخطوط الانسيابية .

وفي مرحلة متقدمة كان ميرو يتطلع إلى الجماهير العريضة ، فكان يرسم (عملا بنصيحة بيكاســو) على الجدران ، ولذلك عاد في مرحلة متأخرة إلــى الرسم على المساحات الكبيرة في الأماكن الشهيرة مثل اليونسكو في باريس ومطار برشلونه وقاعة الدفاع الكبرى التي أكثر فيها من الموازييك والنحت ، وحديقة النافورات .. حتى أنه قال ذات مرة والسعادة تغمره بعد أن رأى الجماهير الغفيرة تشاهد أعماله الفنية في هذه الأماكن الشهيرة : " لقد عرفت الناس أعمالي وتعرفت على شخصي ، أنهم زوار يوم الأحد الشعبيين فانهارت الدموع من عيني ، دموع السعادة ، والنجاح .. ودمعت عيناه مرة أخرى وهو يفتتح في عام ١٩٧٥ ، المعهد العالي للفنون الذي يحمل اسمه ببرشلونه والملحق به متحف يضم أعمال ميرو التي جمعت مــن أنحاء العالم ، الأمر الذي دفع ميرو إلى التبرع بمائة وخمسين لوحة من الحفر والرسم .

لقد كان هذا المتحف هو ثالث مجمع فني لميرو في حياته أما الأول فقد نظمه متحف الفن الحديث بنيويورك عام ١٩٤١ ، وأما الثاني فقد أقيم في باريس عام ١٩٧٤ بمناسبة بلوغه الثمانين .